من مشكاة النبوة (1)

"يا معاذ بن جبل"

الحمد لله شرع الشرائع وما جعل علينا في الدين من حرج، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قامت على وحدانيته البراهين والحجج، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله المفدى بالقلوب والمهج، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، لتزكى نفوُسنا، وتطمئن قلوبنا، وتفوز بإذن الرحيم الكريم بالنعيم المقيم، وتنجو من العذاب الأليم، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾]التحريم: 6.[

عباد الرحمن :شابٌ صفقتْ يدُه يدَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيعة العقبة مبايعًا، ثم صحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقلبٍ يتوقد إيمانا وعقل يشعُّ لموعًا، لازم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحفظ القرآن وفَقِه العلم فإذا هو أعلم الأمة بالحلال والحرام وحظي من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمحبةٍ حلفَ عليها رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحظي برعاية، تجلتّ بقرب واختصاص .. إنه معاذ بن جبل رضي الله عنه .. وإليكم هذا الخبر..

»قال: كُنْتُ رِدْفَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ليسَ بَيْنِي وبيْنَهُ إلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فقالَ: يا مُعاذ بنَ جَبَلٍ، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ، وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: يا مُعاذ بنَ جَبَلٍ قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: يا مُعاذ بنَ جَبَلٍ قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، قالَ: هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، ثُمَّ سارَ ساعَةً، ثُمَّ قالَ: يا مُعاذَ بنَ جَبَلٍ قُلتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ، وسَعْدَيْكَ، قالَ: هلْ تَدْرِي ما حَقُّ العِبادِ علَى اللهِ إذا فَعَلُوا ذلكَ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ»؛ (أخرجه الشيخان).

وفي رواية لهما :فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ أفَلا أُبَشِّرُ به النَّاسَ؟ قالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا.

معشر الكرام :تعالوا إلى بعض الوقفات مع هذا الخبر:

أولى الوقفات :فضل توحيد الله جل جلاله؛ فالتوحيد أساس العبادات، وأعظم الطاعات، كما أنه فيه خطورة الشركِ كلِه أكبر كان أم أصغر " فإنَّ حَقَّ اللهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا " ولذا فأخوف ما خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته الشرك الخفي ففي الحديث: " إنَّ أخوَفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ فسُئل عنه فقال: الرياءُ " (صححه ابن باز و قال الألباني: إسناده جيد).

ثاني الوقفات :سعة رحمة الله ولطفه بعباده؛ إذ أن أعظم عبادة يُتقرب بها إليه يسيرة على الموفق إذ يستطيعها كل إنسان الصغير والكبير والقوي والضعيف والغني والفقير.

ثالث الوقفات :البراعة النبوية في التعليم وتحفيز الذهن، فها هو معاذ رضي الله عنه قد نال خصوصية وقربًا منه فهو لوحده معه، ثم هو يناديه باسمه واسم أبيه، كأنه يناديه من بعيد وهو قريب جدا منه، حتى إذا لبّاه معاذ وأسعده سكت، والظن أن ذهن معاذ قد ذهب كل مذهب في لحظات الصمت التي وزعها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين نداءاته الثلاثة!! فالنداء مُلْفِت! والصمت مُلْفِت أيضا! حتى إذا كان الذهن في غاية التيقظ جاءت المعلومة على شكل سؤال "هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا."

الوقفة الرابعة :كان معاذ رضي الله عنه شابا لم يجاوز العشرين من عمره إلا قليلا، ومع ذلك اختاره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليقول له علما يخصه به، ولم يأذن له أن يخبر به غيره، مخافة ألا يفقهوا كفقهه، وفي هذا إعطاء كل متعلم من العلم ما يناسب إدراكه وفقهه وحاجته.

الوقفة الخامسة :ورع معاذ رضي الله عنه، فقد أخبر عند موته خشية أن يأثم بكتم علم قال الراوي: " فأخْبَرَ بها مُعاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا."

رضي الله عن معاذ وعن سائر الصحابة وعنّا معهم إنه جواد كريم، واستغفروا الله إنه كان غفارا؛ و**الحمد لله...**

أما بعد:

فسادس الوقفات :أن معاذًا رضي الله عنه الذي أخبره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذه البشرى العظيمة قد عُرِف بشده حرصه على العبادة، وهو المروي عنه قوله عند موته "اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر."

فلم يَفهم من هذه البشرى النبوية التي خصه بها النبيُ عليه الصلاة والسلام الاتكال وترك العمل والجرأة على المعاصي، بل فَقِه منها ما يحفّزه على مزيد من العبادة والتلذذ بالطاعة وطول القيام وصوم الهواجر.

الوقفة السابعة :مع معاذ رضي الله عنه وهو ينازع آخر أنفاس الحياة ثم هو لا يترك وظيفته التي تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي الدعوة والتعليم ! ولعلك تتذكر حين اختاره الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهذه المهمة حين بعثه لأهل اليمن " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِن أَهْلِ الكِتابِ، فادْعُهُمْ إلى شَهادَةِ أنَّ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللهِ ... " الحديث (صحيح مسلم).

الوقفة الأخيرة :مشهد نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حمار يقاسم ظهره شاب من الأنصار في مشهد من مشاهد التواضع، إنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي اختار أن يكون عبدًا نبيًا لا أن يكون ملِكًا نبيًّا..

صلىّ عليك اللهُ يا رمز الهدى ***ما لحظةٌ مرّت مدى الأيامِ

من مشكاة النبوة (2)

فيك جاهلية!

الحمدُ لله عدد ما خلق، والحمدُ لله ملء ما خلق، الحمد لله البصيرِ التواب، الفتّاحِ الوهّاب، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له السميعُ الخبير، المتينُ القدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيّه وخليله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه عدد قطر الندى وما تعاقب الإصباح والمساء، أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فرصة الحياة هي زمن تحيق التقوى ومجاهدة النفس وما عمرنا وحياتنا إلا مجموع الساعات واللحظات ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾]الأنبياء: 94.[

عباد الرحمن :ما أجمل الاستضاءة من مشكاة النبوة! وما أحسن النهْل من مَعينها.!

وحديثنا اليوم عن موقف نبوي حصل مع رجل سبق إلى الإسلام أخبر عن نفسه فقال " :كُنْتُ رُبُعَ الإسلامِ أسلَم قبْلي ثلاثةٌ وأنا الرَّابعُ أتَيْتُ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقُلْتُ له: السَّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه فرأَيْتُ الاستبشارَ في وجهِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: (مَن أنتَ؟) فقُلْتُ: إنِّي جُنْدُبٌ رجُلٌ مِن بني غِفَارٍ) "أخرجه ابن حبان في صحيحه .(وكان لسابقته هذه فضلها، إذ لما هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه الصلاة والسلام يبتدئ أبا ذر إذا حضر ويتفقّده إذا غاب، ولكنه وهو بهذه المنزلة حصل له هذا الموقف الذي أثّر في نفسه، فتعالوا نتأمل هذا الخبر، أخرج مسلم في صحيحه عن المعرور بن سُوَيد قال: مَرَرْنَا بأَبِي ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ وَعليه بُرْدٌ وعلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يا أَبَا ذَرٍّ لو جَمَعْتَ بيْنَهُما كَانَتْ حُلَّةً، فَقالَ: إنَّه كانَ بَيْنِي وبيْنَ رَجُلٍ مِن إخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بأُمِّهِ، فَشَكَانِي إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَلَقِيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، مَن سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إخْوَانُكُمْ،

جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فأطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ.

وفي رواية للبخاري" :أسَابَبْتَ فُلَانًا قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: أفَنِلْتَ مِن أُمِّهِ قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ قُلتُ: علَى حِينِ سَاعَتِي: هذِه مِن كِبَرِ السِّنِّ؟ قالَ: نَعَمْ، هُمْ إخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أيْدِيكُمْ، فمَن جَعَلَ اللَّهُ أخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، ولْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، ولَا يُكَلِّفُهُ مِنَ العَمَلِ ما يَغْلِبُهُ، فإنْ كَلَّفَهُ ما يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عليه."

أيها الأحبة تعالوا إلى بعض الدروس والعبر:

أولا :نستفيد قُرْب النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة كلهم، فإن هذا الرجل الذي عُيِّر بأمه فقيل له " :يا ابن السوداء " وَجَدَ في النبي صلى الله عليه وسلم ملاذًا قريبًا يشكو إليه ويستعذر منه ممن عيَّره ؛ وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بشَكَاته وعاتب أبا ذر رضي الله عنه هذا المعاتبة الشديدة.

إن عبوديةَ هذا الرجل واختلافَ لونه لم تكن تعوقه عن الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعَرْضِ شكاته؛ إذ كان عليه الصلاة والسلام قريبًا من الناس كلهم.

ومن الوقفات :نرى قوة الاستئصال للنّعْرَة العنصرية، والتي لا زالت بقاياها مُتَرَسِّبة في بعض النفوس من آثار الجاهلية حيث قال عليه الصلاة السلام لأبي ذر " :أفَنِلْتَ مِن أُمِّهِ قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ."

فسواد أمه ليس عارًا! ثم هي لم تختر لوها الأسود كما أن أبا ذر لم يختر لونه! فهذا أمر ليس للإنسان فيه اختيار، لكن العار في التخلق بأخلاق الجاهلية! ولذا كان وقْعُ الكلمة على أبي ذر شديدا "إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ " قال أبو ذر: علَى حِينِ سَاعَتِي: هذِه مِن كِبَرِ السِّنِّ؟ قالَ " :نَعَمْ."

ثانيا :في الوقت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحطّم نعرات الجاهلية وتفاخرها بالأنساب والألوان والأعراق كان يشيّد بناءً متينًا من الأُخُوَّة بين المسلمين، وهذا ظاهر في قوله "، هُمْ إخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ

اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فأطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ "فهذه خمسة أمور تُأكّد حقّ الأخوة ؛ فسماهم إخوانا ولو كانوا خدما، وأرشدَ إلى إطعامهم مما يطعم وكسوتهم مما يكتسي ونهى عن تكليفهم ما يغلبهم، وأمر بإعانتهم لو كُلفوا.

نفعني الله وإياكم بالكتاب والسنة وبما فيهما من العلم والحكمة واستغفروا الله إنه كان غفارا

الحمد لله...

أما بعد :فمن الدروس المستفادة: أن التربية النبوية تحيي في نفوس الناس الاعتزاز بذواتهم ومعرفة حقوقهم، كما يعرفون واجباتهم، "أسَابَبْتَ فُلَانًا قُلتُ: نَعَم " ولذا شعر أبو ذرٍ بهذا الندّية قال أبو ذر عندما روى الخبر " :إنَّه كانَ بَيْنِي وبيْنَ رَجُلٍ مِن إخْوَانِي كَلَامٌ " فالمراجعة متبادلة بين طرفين.

علمًا أنه عندما ألغى النبي صلى الله عليه وسلم بكل حزمٍ أنواع التمايزِ العنصري قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام لم ثمّة رأي عام عالمي، ولا منظمات لحقوق الإنسان، بل كان الواقعُ الاجتماعيُ العالمي يعيش أنواعا صارخةً من التمييز العنصري، بينما لم تلحق الحضارة العالمية بهذه الهداية النبوية إلا بعد أربعة عشر قرنا!

وأخيرا :يبهرك شدة تأثر أبي ذر رضي الله عنه بمقالة النبي صلى الله عليه وسلم وقوة التزامه بالأمر النبوي، فإنه سكن الربذة في آخر حياته وتوفي فيها، ومع ذلك كان في أعلى درجات الامتثال؛ إذ لما روى الخبر قال " "إنَّه كانَ بَيْنِي وبيْنَ رَجُلٍ مِن إخْوَانِي كَلَامٌ " وقسم الحلة بينه وبين غلامه ولم يكتفِ بالمواساة التي يجزئ فيها ما دون ذلك.

إنه خُلُق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تَلَقِّي أمره وهديه، ثم امتثاله، فكانت أوامره تتشكّل التزاما سلوكيا قويًا وعميقًا يبقى في نفوسهم ما بقيت لهم حياة!

رضي الله عنهم أجمعين وعنّا معهم..

ثم صلوا وسلموا...

من مشكاة النبوة (3)

ذو العقيصتين

الحمد للهِ العلاّمِ الحكيم، الواسعِ العظيم، المحيطِ العليم، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ المولى الحميد، الطيّبُ المجيد، الخبيرُ الشهيد وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيّه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.. أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بأعظم الوصايا وأنفعِها، وأربحِها وأجمعِها أوصنا الله بها وأوصي بها الأمم السابقة؛ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ ﴾ [النساء: 131]، وهل نعيم الجنة ودرجاتها العلى ينال – بعد رحمة الله – إلا بالتقوى؛ ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴾]مريم: 63.[

إخوة الإيمان: إليكم هذا المشهد النبوي..

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في المِسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ علَى جَمَلٍ، فأناخَهُ في المِسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قالَ لهمْ: أيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ والنبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُتَّكِئٌ بيْنَ ظَهْرانَيْهِمْ، فَقُلْنا: هذا الرَّجُلُ الأبْيَضُ المُتَّكِئُ. فقالَ له الرَّجُلُ: يا ابْنَ عبدِ المطَّلِبِ فقالَ له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قدْ أجَبْتُكَ. فقالَ الرَّجُلُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنِّي سائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ في المِسْأَلَةِ، فلا تَجِدْ عَلَيَّ في نَفْسِكَ. فقالَ: سَلْ عَمَّا بَدا لكَ فقالَ: أسْأَلُكَ برَبِّكَ ورَبِّ مَن قَبْلَكَ، آللَّهُ أرْسَلَكَ إلى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فقالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ نُصَلِّيَ الصَّلَواتِ الخَمْسَ في اليَومِ واللَّيْلَةِ؟ قالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ نَصُومَ هذا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قالَ: أنْشُدُكَ باللَّهِ، آللَّهُ أمَرَكَ أنْ تَأْخُذَ هذِه الصَّدَقَةَ مِن أغْنِيائِنا فَتَقْسِمَها علَى فُقَرائِنا؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فقالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بما جِئْتَ به، وأنا رَسولُ مَن ورائِي مِن قَوْمِي، وأنا ضِمامُ بنُ ثَعْلَبَةَ أخُو بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرٍ. أخرجه الشيخان.

وفي رواية عند أحمد: "حتى إذا فرَغ قال: فإنِّي أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأشهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وسأؤدِّي هذه الفرائضَ، وأجتنِبُ ما نَهَيْتَني عنه، ثم لا أزيدُ، ولا أنقُصُ، قال: ثم انصَرفَ راجعًا إلى بعيرِه، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حينَ ولَّى: إنْ يصدُقْ ذو العَقيصَتَينِ يدخُلِ الجنَّةَ، قال: فأتى إلى بعيرِه، فأطلَقَ عِقالَه، ثم خرَجَ حتى قدِمَ على قومِه، فاجتَمَعوا إليه، فكان أولَ ما تكلَّمَ به أنْ قال: بِئسَتِ اللاتُ والعُزَّى، قالوا: مَهْ يا ضِمامُ، اتَّقِ البَرَصَ والجُذامَ، اتَّقِ الجنونَ، قال: وَيْلَكم، إنَّهما واللهِ لا يَضُرَّانِ، ولا يَنْفعانِ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد بعَثَ رسولًا، وأنزَلَ عليه كتابًا استَنْقَذَكم به مما كنتُم فيه، وإنِّي أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، إنِّي قد جِئتُكُم من عندِه بما أمَرَكم به، ونَهاكم عنه، قال: فواللهِ ما أمسَى من ذلك اليومِ وفي حاضِرِه رجُلٌ ولا امرأةٌ إلَّا مسلمًا. قال: يقولُ ابنُ عبَّاسٍ: فما سَمِعْنا بوافدِ قومٍ كان أفضَلَ من ضِمامِ بنِ ثَعْلبةَ.

الله أكبر.. ما أعظم الإيمان إذا سكن القلب!

أيها الأحبة: تعالوا إلى بعض الوقفات حول هذه القصة:

♦ نلحظ من القصة الاندماج الكامل الذي كان يعيشه نبينا صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، بحيث كان الداخل لا يميزه من بينهم! ": أيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وفي رواية:" أيكم ابن عبد المطلب؟" فلم يكن في لباسِه شهْرة وليس في حاله تَمَيُّز ولذا نهاهم أن يقوموا حوله كما تقوم الأعاجم متباعدا عن حال أهل التكبر والتعاظم، وبهذا القرب والاندماج معهم صحّح تصوراتهم وسلوكهم واستكنّ حبه سويداء قلوبهم.

♦ ووقفة أخرى عند قول النبي صلى الله عيه وسلم: " سل عمّا بدا لك " لافتة نبوية أمام طلاب الحق ومتطلبي الهداية، فليس أمامهم أسئلة محظورة؛ لأنه ليس في الدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يستحيا من ذكره، أو يحرج السؤال عنه.

♦ومن الوقفات حسن خلقه عليه الصلاة والسلام فقد كان في خطاب ضمام غلظة! " إِنِّي سائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المِسْأَلَةِ، فلا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ " علما أن هذا الخطاب كان بعد فتح مكة وبعد أن بدأت الناس تدخل في دين الله أفواجا، ومع ذلك تفهّم النبي صلى الله عليه وسلم خطابه وطبيعته.

وللحديث بقية..

نفعني الله وإياكم بالكتاب والسنة وبما فيهما من الهدى والحكمة واستغفروا الله إنه كان غفارا

الحمد لله...

الخطبة الثانية

أما بعد:

♦فمن الوقفات مع القصة السابقة: أن قضية تصحيح التدين والتوثق مما يعتقده من الأهمية بمكانٍ عند ضمام بن ثعلبة ولذلك سافر ليتثبت عما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحسم قراره في دينه السابق، وهذا يبين جِدّيته واستعداده لتحمل مسؤولية هذا الدين إذا تبين له صدق هذا الرسول، وهو ما تبين له بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

♦ومن الوقفات: لله ما أعجب هذا الإيمان إذا دخل القلب، فها هو ضمام يرجع إلى قومه وقد خرجت اللات والعزى من قلبه بل يَسُبّها! وقومه المشركون يخافون عليه البرص والجذام منها، لكن إذا أشرق الإيمان والتوحيد أبطل كل خرافة وتقليد " وَيْلَكم، إنَّهما واللهِ لا يَضُرَّانِ، ولا يَنْفعانِ."

ومن الوقفات :أهمية استشعار تبليغ الدين، فهذا ضمام أعلن إيمانه وقال " وأنا رَسولُ مَن ورائِي مِن قَوْمِي " قال ابنُ عبَّاسٍ: فما سَمِعْنا بوافدِ قومٍ كان أفضَلَ من ضِمامِ بنِ ثَعْلبةَ.

اللهم ارض عن ضمام بن ثعلبة وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين و عنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين...

من مشكاة النبوة (4) في مهنة أهله

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة سبأ: 1] ربنا لك الحمدُ ملءَ السماواتِ والأرضِ وملءَ ما شِئتَ من شيءٍ بعدُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله و رسوله من اتبعه واقتدى به تطهّر قلبه و جَـــمُل لفظه، وسمتْ نفسه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد: فأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله والتزود من الأعمال الصالحة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾]الأنبياء:94.[

عباد الرحمن :تعالوا إلى إطلالة على البيت النبوي ذلك البيت الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيرا، إطلالة مع كوّة فتحتها أمنا عائشة رضي الله عنها بسبب تساؤلٍ من بعض التابعين عن حالِ تلك الشخصية العامة التي تتحمل أعباء الأمة كيف تكونُ حاله إذا دخل بيته وأغلق بابه؟!

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن الأسود قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ما كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَصْنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالَتْ: كانَ يَكونُ في مِهْنَةِ أهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاةِ.

وعند أحمد: سُئِلَتْ: ما كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعمَلُ في بَيتِه؟ قالَتْ: كان بَشَرًا مِن البَشَرِ؛ يَفْلي ثَوبَه، ويَحْلُبُ شاتَه، ويَخدُمُ نَفْسَه) .صححه الألباني (وفي صحيح ابن حبان: " يخصِفُ نعلَه ويَخيطُ ثوبَه ويرقَعُ دَلْوَه."

أيها الأحبة تعالوا إلى بعض الوقفات:

الوقفة الأولى " :كان بَشَـــرًا مِن البَشَـــرِ " فهو يدخل بيته ليس على أنه القائد أو الزعيم ولكن على أنه الزوج، ليعيش حياة السكن الزوجي مع أهله، يعيش بساطةَ الحياةِ الأسريةِ وعفويتَها.

الوقفة الثانية :قالت "كان يَكونُ في مِهْنَةِ أهْلِهِ " وههنا تساؤل هل كانت أمُنا عائشة رضي الله عنها تشكو كثرةَ العملِ ومشقتَه؟!حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم في معونتِها وخدمتِها؟! أمَا كانت حجرتُها متقاربةَ الجُدُر صغيرةَ المساحةِ بحيث لم يتجاوز طولها عشرة أذرع وعرضها سبعة أذرع؟! وهي بحسابات اليوم خمسة أمتار في ثلاثة أمتار ونصف! تقريبا، وهي اليوم مساحة غرفة من غرف بيوتنا والله المستعان!

ألم تخبر أنه يأتي الهلال ثم الهلال ثم الهلال و ما أُوقِد فيها نار لطعامٍ يُصنع! يمر الشهران وربما أكثر! لم تطبخ طعاما، إنما طعامهم التمر والماء!

ثم هي شابة لم تنشغل بذرية! فهل ثَمَّت عملٌ يحتاج إلى جهدٍ؟! فضلا عن عملٍ يحتاج إلى مساعدة؟!

إنها المساعدة لمعنى أعمق وهو المواساة وإظهار الاهتمام بالمشاركة في الحياة الزوجية، وتحقيق أحد معاني السكن إلى الزوجة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾]الروم: 21 [ولم يقل سبحانه لتسكنوا معها.

الوقفة الثالثة :إننا نطلّ من هذه النافذة على البيتِ النبويِ الصغيرِ في مساحته، البسيطِ في متاعه، الكبيرِ بالانشراح و الحب والمودة والتعاون يتدفقُ فيه ينبوعُ السعادةِ والابتهاجِ والحياة الطيبة.

جاء في السيرة قولُها: "كان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحَّاكًا بسَّامًا " فليس في بيت النبوة التواقر المتكلف ولا التجهم العابس بل جمال الروح وإيناس التبسم!

الوقفة الرابعة :المبادرة من الزوج إلى المشاركة المعبرة والإيناس المبهج سوف يحتلُّ المساحة الأكبر من قلب زوجته ووجدانها، وسيجعل لحضوره فرحة، ولغيابه فقْدا ووحشة!

أيها الأحبة :من يعاني برودة الحياة الزوجية وجفافها عليه أن يستفيد من هذا الدرس النبوي لتتدفق الدماء حارّة في حياتهم بمثل هذه اللمسات الآسرة من مشاركة عملٍ ووجهٍ مبتسمٍ طليق!

نفعني الله وإياكم بالكتاب والسنة، وبما فيهما من الآي والحكمة، واستغفروا الله إنه كان غفارا.

الحمد لله القائل ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب: 33] وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فكم يبهرنا هذا التوازن في الحياة النبوية فقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع الناس كثيرُ التبسم، وفي بيته ضحوك بسَّام وكان مع الناس كالريح المرسلة بالخير وفي بيته في مهنة أهله وكان خير الناس للناس وخيرهم لأهله.

إن هذا التوازن قد يُفْتَقَد عند أناس يبذلون المجاملات الرقيقة في تعاملهم العام ولكن مع أهليهم التجهم والتضجر! فصلى الله وسلم على من وسع الناس بحسن خلقه وأسعدُهم بحسنِ خلقهِ أهلُه.

معشر الكرام: إن هذا الدرس النبوي رسالة مفتوحة إلى كل من أساء فَهْم القوامة واختزلها في التعالي الأجوف و بَسْط مظاهر التسلط بحيث لا يُرى إلا مُقطِّبا ولا يُسمع إلا آمرا أو محذرا.

ختاما: رضي الله عن أمِّنا عائشة التي كان من حكمة الله أن تبقى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من نصف قرن نافذةً مفتوحةً على بيت النبوة ترى أمة محمد صلى الله عليه وسلم منها هدي نبيها عليه الصلاة والسلام، فرضي عنها وأرضاها وجزاها عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الجزاء وأوفاه.

ثم صلوا وسلموا...

مشكاة النبوة (5) "يا أم خالد هذا سنا"

الخطبة الأولى

الحمد لله أحاط بكل شيء خبرًا، وجعل لكل شيء قدرًا، وأسبغ على الخلائق من فضله سترًا، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، بعثه إلى الناس كافة عذرًا ونذرًا، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان، **أما بعد:**

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾]المائدة: 35.[

عباد الرحمن :مطالعةُ السيرةِ النبويةِ يقوي الإيمان ويغذي محاسن الأخلاق ويشرح الصدر، وحديثنا اليوم عن موقف نبوي وَقَع مع طفلةٍ سنذكر بعض تفاصيل نشأتِها قبل رواية الحديث، أما اسمها: فأمة بنت خالد بن سعيد بن العاص، كنّاها أبوها وهي طفلة "أم خالد"، وُلِدت في الحبشة وتفتّح وعْيُها على أبيها وأمها مهاجرين في أرض الغربة هجرة لله ورسوله.

أخرج البخاري عن أم خالد أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنها قالت: أُتِيَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بثِيابٍ فيها خَمِيصَةٌ سَوْداءُ، قالَ: مَن تَرَوْنَ نَكْسُوها هذِه الخَمِيصَةَ فَأُسْكِتَ القَوْمُ، قالَ: ائْتُونِي بأُمِّ خالِدٍ فَأُتِيَ بي النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فألْبَسَنِيها بيَدِهِ، وقالَ: أبْلِي وأَخْلِقِي مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إلى عَلَمِ الخَمِيصَةِ ويُشِيرُ بيَدِهِ إلَيَّ ويقولُ: « يا أُمَّ خالِدٍ هذا سَنا ويا أُمَّ خالِدٍ هذا سَنا». والسَّنا – بلِسانِ الحَبَشِيَّةِ –: الحَسَنُ.

قالَ إسْحاقُ :حَدَّثَتْنِي امْرَأَةٌ مِن أهْلِي: أنَّها رَأَتْهُ علَى أُمِّ خالِدٍ.

وفي رواية للبخاري :فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أبِي، قَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعْهَا ثُمَّ قَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أبْلِي وأَخْلِقِي، ثُمَّ أبْلِي وأَخْلِقِي، ثُمَّ أبْلِي وأَخْلِقِي.

قَالَ عبدُ اللَّهِ: فَبَقِيَتْ حتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي مِن بَقَائِهَا.

إخوة الإيمان :تعالوا بنا إلى بعض الوقفات لهذا المشهد الجميل:

-1كيف اتسع وقت النبي صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ ليهتمّ بشؤون أصحابه الخاصة جدًّا، حتى صار من هَمِّه إبهاج أطفالهِم وإدخال السرور على نفوسهم ومشاركة الأطفال فرحهم الغامر بأشيائهم الصغيرة في عيوننا، الكبيرة في عيونهم! فها هو يُلْبِسُها بنفسه ثم ينظر إلى أعلامِ ثوبها وهي الخطوط فيشير إليه ويقول لها: سنا سنا، ومعناها: جميل بلسان الحبشة التي نشأتها بها أم خالد.

إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يعيش فراغًا في الوقت ولا قلة في الأعباء فهو المتصدي لأعظم مسؤولية والمتحمل لأثقل أمانة؛ ولكن هذه الأشياء لها أهميتها في مقياس عظمة الأخلاق المحمدية، فهو المبعوث لإسعاد البشرية في دنياهم وأخراهم وهو الذي دلّ أمته على أن من العمل المبرور "سرور تُدْخِله على قلب مسلم". (حسنه الألباني).

-2البراعة النبوية في تحويل الفعل الجميل إلى باقةٍ من الأفعال الجميلة المعبرة بَدَأَها صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ بطرح التساؤل لمن يعطى الكساء، مما يوحي بالأهمية والانتقاء، ولذا تحول الكساء إلى وسام شرف. ثم طلبها صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ لتحظى باستلامه منه ولم يرسله إليها مع أنها صغيرة!؛ ففي رواية للبخاري " قالَ: ائْتُونِي بأُمِّ خالِدٍ فَأُتِيَ بها تُحْمَلُ."

ثم تولى صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ بنفسه إلباسها الكساء.

ثم اتْبَعَ ذلك بملاطفتِها ومشاركتها فرحتها الطفولية.

ثم الدعاء لها وتكرار الدعاء. ثم تقريبها حتى صارت تلعب بخاتم النبوة بين كتفيه الذي لفت نظرها.

ثم تقريره لذلك وقولهُ لأبيها حين زجرها: دَعْها.

إنه درس نبوي يبين أن صنائع المعروف كما هي كرم فهي فن وحسن أداء!

فأي أخلاقٍ كريمةٍ وأي أريحيةٍ كانت تغمر تلك المجالس جمعنا الله بأهلها في دار كرامته ومستقر رحمته.

نفعني الله وإياكم بالقرآن والسنة وبما فيهما من الهدى والحكمة واستغفروا الله إنه كان غفارا.

الخطبة الثانية

الحمد لله...

أما بعد :فثالث الوقفات مع الموقف الجميل:

-3كان يمكن أن يكتفي النبي صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ بإرسال الخميصة إلى أم خالد، ولكنه باشر الأمر بنفسه وبكل تفاصيله ليكون إسعاد الناس سنّة نبوية تُقتفى وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر وذكر الله كثيرًا، ولذا فإنك واجد لهذه اللفتة الجميلة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أخواتٍ كثرًا تشببها توالي تأكيد هذه الفضيلة وتعيد معاني هذا المشهد.

-4المنهج النبوي الكريم في التعامل مع الأطفال في مظاهر فمن ذلك:

أ -الحفاوة والإيناس والملاطفة.

ب -ومن ذلك: التقرب والتآلف مع الطفولة، بحيث تدنو وتقرب؛ حتى تلاعب اليد الصغيرة خاتم النبوة.

ح -ومن ذلك: الرفق والبعد عن الجفاء والنْهر.

وخامس الوقفات :إكرام الصغار نوع إكرام لآبائهم، فيا ترى كيف كانت مشاعر أبيها وهو يرى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ يكسُوها ويلاطفُها ويدعو لها وينهى عن نهْرها.!

ومن الوقفات :معجزة نبوية، حيث ظهر أثر دعوة النبي صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّمَ " أبْلِي وأَخْلِقِي، ثُمَّ أبْلِي وأَخْلِقِي، ثُمَّ أبْلِي وأَخْلِقِي " وهي دعوة بطول العمر، فعُمِّرت أم خالد رضي الله عنها حتى كانت آخر من مات من الصحابيات رضي الله عنهن.

الوقفة الأخيرة :البِرُّ لا يُنسى، فكما عايشت فرحتها وهي طفلة فإنها قد بقيت الحادثة محفورة في ذاكرتها حاضرة في وجدانها ترويها للناس، بل وبقي عندها الكساء محتفظة به وقد دكن لونه.

صلَّى الإلهُ على الحبيبِ بفضلِه

وحَبَاه قدْرًا في الأنامِ عظيمَا

يا أيُّها الراجون منه شفاعةً

صلُّوا عليه وسلِّموا تسلِيمَا